"جامعة سوهاج "
"كلية الآداب"

ورقة بحثية بعنوان:

" اللُّغَة وَتَنْمية المجتمع "

" رؤية مستقبلية "

إعداد:

الأستاذ الدكتور: إبراهيم عوض إبراهيم حُسَيْن

أستاذ اللُّغَوِيات "النَّحْو والصَّرْف والعَرُوض"

في قِسْم اللُّغَة العربية، بكلية الآداب

جامعة سوهاج ـ جمهورية مِصْر العربية

١٤٤٤ هـ ـ ٢٠٢٢م

" اللُّغَة وَتَنْمية المجتمع "

" رؤية مستقبلية "

أد: إبراهيم عوض إبراهيم حُسَيْن (*)

مُقَدّمة:

لا شَكَّ في أنَّ اللُّغَة هى المرآة التي يرىٰ فيها المجتمع صُوَرَتَهُ في الماضى، والحاضر، ويترسَّم بها صُوَرَتَهُ في المستقبل، وهى ظِلّ المجتمع؛ تَرْقىٰ بِرُقِيِّهِ، وتُلَبِّى رغباته، وتتسع لمتطلباته، وتجمد بجمودِهِ، وتنقرض بانقراضِهِ(١).

واللُّغَة بِنْت المجتمع، وأحد مكوناتِهِ، ولذلك فالعَلاَقة بينهما جِدٌّ وثيقة. ومادامت اللُّغَة تعيش فى المجتمع وتَحْيَا، فهي لا تعيشُ في فراغٍ، ولا تُدْرَسُ مِنْ فراغٍ؛ لأنها وعاءُ الفِكْر المنقول، الذى ينتجه أفراد هذا المجتمع شفاهةً وكتابةً، جيلاً عن جيل، وخلفًا عن سَلَف. فاللُّغَة تعيشُ في مجتمع، وترتبط به، فهو صَاحِبُهَا، وهي وسيلته في الحياة؛ في التخاطب والتفاهم، وفى التعامل وتبادُل المنافع. وهى سِجِلّه الحافل، ووعاؤه الحضارىّ.

إنَّ هذه اللُّغَة التى صمدَتْ ما يزيد على سبعة عَشَرَ قرنًا، تُعَدّ وعاءً للفِكْر العربىّ، وسِجِلاًّ أمينًا للحضارة. وها هى ذى تواصل انتشارها واستمرارها، بعد أنْ تجاوَزَ المتحدثونَ بها، والمتداولونَ لها، ثلاثمائة مليون متكلِّم، وأصبحت اللُّغَة السادسة فى منظمة "اليونسكو"، وإحدىٰ اللُّغَات الحيَّة الأكثر انتشارًا فى العالم؛ بعد الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية.

ولعلَّ أهمية هذه الورقة البحثية راجعةٌ إلى أنَّ العَلاقَة بين "اللُّغَة" و"المجتمع" مشتركةٌ، والتأثير بينهما متبادَلٌ، ولكنْ إذا كانت "اللُّغَة" مؤثرة في كثيرٍ من أركان "المجتمع"، فإنَّ الأخير يؤثِّر في جانب من جوانب اللُّغَة، هو "الدِّلالة" .

وما دام الناطقونَ باللُّغَة يعيشون داخل المجتمع، فإنَّ اللُّغَة تؤثِّر في نفسيتهم؛ فهى وسيلتهم؛ في "التذوُّق"، ثم في "الفَهْم". وهي وسيلتهم في تحقيق الإقناع، بحُكْمٍ معينٍ، أو بفكرةٍ

(*) أستاذ اللُّغَوِيَّات "النَّحْو والصَّرْف والعَرُوض" ، في كلية الآداب، بجامعة سوهاج.
مدير مركز تعليم الكِبَار في كلية الآداب، بجامعة سوهاج.

خاصةٍ. وكذلك هي الوسيلة المُهِمَّة في تغيير السلوك، وتعديل التصرُّف، وغَرْس القِيَم النفسيَّة والخُلُقيَّة، ولا سيّما في مجال "التربية".

الكلمات المفتاحية: اللُّغَة – المجتمع – التنمية – الأخطاء اللُّغَوية – لُغَة الإعلام – لُغَة مواقع التواصُل – التنمية اللُّغَوية.

تمهيد:

إنَّ اللُّغَة نعمة كبرىٰ من النِّعَم التى أنعم بها الله جَلَّ ثناؤه، على البشرية جمعاء، فهى وسيلة الإنسان فى التخاطب، ونَقْل الفِكْر وتنميته، وهو فى مراحل تعليمه المختلفة، يَبْنى فِكْره ويُنَمِّى عقله، بعلومٍ ومعارفَ وثقافاتٍ متنوعةٍ، يحصِّلها ويفهمها ويستوعبها، فى مخزونه الذهنىّ .

والحقُّ أنَّ اللُّغَة ضرورية للإنسان، ضرورة الماء والهواء والغذاء، ومن ثَمَّ لا يمكنُ للإنسان الاستمرارُ في الحياة، من دون اللُّغَة. وكما أنَّ الهواء والماء والغذاء، من الضروريات الواجبة لحفظ بقاء الكائن الحيّ، فإنَّ اللُّغَة أيضًا لا تَقِل عنها ضرورةً، بالنسبة لاستمرار الحياة الاجتماعية وبقائها، وتحقيق الاتصال الاجتماعيّ، بين الفرد والجماعة.

إنَّ وظيفة اللُّغَة هي إشباع رغبات الفرد، والتعبير عن أفكارِهِ وإحساسِهِ؛ فاللُّغَة تُبْرز الفكرة الكامنة لَدَىٰ الفرد، وتُظْهرها للآخرينَ، ومِنْ ثَمَّ تتم عملية الاتصال الاجتماعيّ ، بين الفرد والجماعة. وما هذا إلا لأنَّ اللُّغَة – أية لُغَة – نظام اجتماعيّ معيّن، تتخذه جماعة معينة، في مجتمع ما، للتحدث والتفاهم، قاصدينَ بذلك تحقيق وظائف معينة. ولاشك أنَّ هذا النظام الاجتماعيّ يتأثر بباقي النُّظُم في المجتمع، سواءٌ أكانت اجتماعيةً أم سياسيةً أم اقتصاديةً أم دينيةً .

واللُّغَة صورة صادقة عن مدىٰ تَقَدُّم الناطقينَ بها، أو تأخُّرهم؛ فالنمو العام في أمةٍ ما، مرتبط بنمو لُغَتها، وهذه مسَلَّمة لُغَوية ثابتة. ولأنَّ اللُّغَة هي أحد وجْهَيْ الفِكْر، فإذا لم تكن لنا لُغَةٌ تامةٌ صحيحةٌ، فلن يكون لنا فِكْرٌ تامٌّ صحيحٌ.

إذن ينبغى النظر إلى اللُّغَة، وفى اللُّغَة، من زاوية مُسْتَعْمِلِيها؛ بوصفها أداةً للإنتاج الفكرىّ الثقافىّ، وباعتبارها وسيطًا لإنتاج المعرفة؛ إذ إنَّ المعرفة بمعناها الواسع، تعتمد أساسًا على اللُّغَة. فاللُّغَة لم تعدْ أداةً للتعبير عن الفِكْر والثقافة فَحَسَب، بل أصبحت أداةً رئيسةً فى توليد هذه المعرفة، ونَشْرها وتطويرها، ولاسِيَّما فى ظِلّ المستجدات المتراكمة، لِتِقَنِيَّات العلوم، والتكنولوجيا، والاتصالات، ومستحدثات العصر[٢] .

إنَّ اللُّغَة هى هُوِيَّة الأمة، وأعظم مقوِّمات وجودها. والأمم الحية الراقية تحافظ على لغاتها، حفاظَهَا على أوطانها. والعَلاَقة بين مكانة الأمة ومكانة لُغَتها وثيقة جِدًّا؛ فاللُّغَة هى الأمة. ومِنْ ثَمَّ فَمَنْ لم ينشأ على حُبّ لغة قومه، استخفَّ بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته. ومَنْ لم يبذل الجُهْد فى بلوغ درجة الإتقان، فى أمر من الأمور الجوهرية، كإتقان لغته، اتسمت حياته بتبلُّد الشعور وانحلال الشخصية، وأصبح دَيْدَنُهُ التهاون والسطحية فى كُلّ الأمور.

ولكنَّ السعىَ لإتقان لغتنا العربية هنا، لا يَعْنى أبدًا التخلِّىَ عن تعلُّم اللغات الأجنبية الحيَّة، إذ إنَّ من المُهِمّ جدًّا أنْ يتقن المتعلم العربىّ لغةً أجنبيةً واحدةً على الأقل. فهذا مهمٌّ للغاية فى مسيرة حياته التعليمية.

ولكنَّ اللافت للنظر، أنَّ كثيرًا من العرب، يَسْعَوْنَ بجدٍّ وحزمٍ، إلى تعلُّم الإنجليزية، مثلاً، ويهملون فى الوقت نفسه لغتهم العربية. وترىٰ العربىّ إنْ خالفَ قاعدةً، أو أخطأ التعبير بالإنجليزية، ونُبِّهَ على هذا، يبدى أسفه ويعبِّر عن احترامه وخضوعه للقاعدة؛ لأنه يرجو أنْ يكون من المتقنينَ لها. والمتباهينَ بهذا الإتقان والإجادة لهذه اللُّغَة الأجنبية المنشودة.

أمَّا إذا نُبِّهَ العربىّ إلى خطأٍ ما، وقع فيه، فإنه فى أغلب الأحايين، لا يُبْدِى شديد أسفه، ولا يُلْقى كبير انزعاجه، من الخطأ الذى وقع فيه، سواءٌ أكان هذا الخطأ لغويًّا أم أسلوبيًّا، أم غير ذلك.

إنَّ اللُّغَة العربية هى لغة القرآن الكريم، الذى ضمن لها الانتشار الواسع، وضمن لها، فى الوقت نفسه، القوة والاستمرار، ومِنْ ثَمَّ فاللُّغَة العربية خالدة بخلود قرآنها العظيم. ولاشك فى أنَّ ارتباط هذه اللُّغَة بالقرآن الكريم، جعلها أقل لغاتِ العالم تطوُّرًا، فلا توجد لغةٌ، مرَّ عليها أكثر من ألفٍ وخمسمائة عام، ومازال أهلها يقرءونَ نصوصها ويفهمونها، من غير كبير عناءٍ. ولذلك لا نبالغ إذ قلنا: إنَّ القرآن الكريم هو سِرّ بقاء هذه اللُّغَة.

فاللُّغَة العربية الفصيحة ليست صعبة، واكتسابها ليس بالأمر العسير، إذ يكفى أنْ يَسْمع المرء الفصحىٰ، ويُسْمع بالفصحىٰ. فالعامىّ يستمع إلى خُطْبة الجُمُعَة، ويفهم مضمونها، ويستمع إلى نشرة الأخبار، وهى بلغة فصيحة، فى أغلبها، ويفهمها أيضًا.

ولكنَّ المتأمل للواقع اللُّغَوىّ المعيش، يجد أنَّ العربية صارت لغتَيْنِ؛ "لغة سوق"، أو بعبارة أخرى: "لهجة محلية"، مختلفة من بلد عربىّ إلى آخَرَ. و"لغة فصيحة"، محصورة فى البحث اللغوىّ الأكاديمىّ، فى المعاهد والجامعات، ومؤسسات التعليم والثقافة الأخرىٰ.

ولاشكَّ فى أنَّ الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية في مجتمع ما، بكلِّ دقائقها وتفاصيلها، تؤثر تأثيرًا بالغًا في المفردات اللُّغوية، في أثناء وَضْعها، والنطق بها. ولذلك فإن

هذه المفردات اللُّغوية في أىّ مجتمع من المجتمعات، تعد المرآة الصادقة، التي تعكس صورةً واضحةً، لِمَا عليه أفراد هذا المجتمع، من ثقافةٍ ونظمٍ وعاداتٍ وتقاليدَ واتجاهاتٍ .

وتأسيسًا على هذا، فإنَّ دلالة اللفظ في اللُّغَة، يتطوَّر بتطوُّر الظروف الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول، وبعبارة أخرى أوجز، وأفصح بيانًا: إنَّ التطور الثقافيّ والتطور الحضاريّ في أمةٍ ما، يؤثرانِ تأثيرًا كبيرًا في دلالة الألفاظ ، حيث يتجهانِ بها وِجْهةً معينةً، قد تبتعد قليلاً أو كثيرًا عن أوضاعها الأولىٰ، تبعًا لمدىٰ درجة التطوُّر .

ولا جدال أنَّ الظروف الاقتصادية والسياسية، التى تمرّ بها كثير من الدُّوَل العربية، وقد زادت وتيرتها اليوم، قد أدت إلى ضَعْف اللُّغَة العربية، وهَيْمنة اللهجات العربية المحلية، حتى غَدَتْ اللُّغَة العربية الفصيحة، مقصورة ومحصورة فى لغة المواقف الرسمية الجادة، فى التعليم والثقافة والإعلام.

***

هذا، وتستطلع هذه الورقة البحثية، من حقيقة مهمة: مُفَادها أنَّ التنمية اللُّغويّة هى باب التنمية الشاملة، ومن دون تنميةٍ لغويةٍ، لا تتحققُ التنمية الشاملة. ولاشكّ فى أنَّ المواطن العربىّ، عندما يشعر أنَّ لغته فى مأمَن، وهُوِيَّته فى أمان، يحسّ بالانتماء والمسئولية، فينخرط طوعًا فى العمل التنموىّ، ومِنْ ثَمَّ يسهم إسهامًا فعَّالاً فى إنتاج وسائل التنمية. إنَّ اللُّغَة هى الهُوِيّة، والاعتزاز باللُّغَة جزء من الاعتزاز بالوطن، فهناك شعوبٌ ترفض الحديث بغير لغتها، كما هى الحال فى فرنسا، وكذلك وَضْع اللُّغَة فى ألمانيا.

من أجل ذلك تقدم هذه الورقة البحثية عدة رُؤَى لغوية، تَصِفُ الواقع اللغوىّ المعاصر، وتستشرف المستقبل اللغوىّ، بعدة أفكار تهدف إلى تنمية اللُّغَة، حتى تكون مواكبة للعصر ومتطلباته الكثيرة .

وتأسيسًا على هذا، تتضمن هذه الورقة البحثية، مستقبل اللُّغَة العربية، من خلال معالجة الموضوعات الآتية:

- اللُّغَة الإرشادية المكتوبة.
- الأخطاء الشائعة فى الخطاب اللغوىّ المعاصر.
- تفصيح بعض الألفاظ التى يستعملها العامة.
- لافتات الشوارع والهيئات والمؤسسات.
- لغة الإعلانات الصحفية.
- لغة رُوَّاد مواقع التواصل الاجتماعىّ.

والأمر الذى لاشَكَّ فيه ولا محاجَّة، أنَّ اللُّغَة – أية لُغَة – صورة صادقة عن مدىٰ تقدُّم الناطقين بها، أو تأخُّرهم. فكلما نَمَتْ أمة ما، نَمَتْ لغتها وارتقت وازدهرت. وهذه مُسَلَّمة لُغَوية ثابتة، وفى هذا السياق، يقول "ابن خلدون": «إن غَلَبة اللُّغَة بغلبة أهلها، وإنَّ منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم»[٣].

وهذا ما نلاحظه فى غلبة اللُّغَة الإنجليزية English Language التى أصبحت عالمية ؛ بسبب غلبة الناطقين بها، سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا، سواءٌ أكانوا من الأمريكيين أم من الأوربيين، أم من الطبقات الاجتماعية العليا، فى بعض المجتمعات العربية . وفى هذا المَقَام، لا يخالجنى أدنىٰ شَكّ، فى أنَّ تنمية اللُّغَة والنهوض بها، يبدأ من التركيز على "التعليم" .

لقد أدركت كثير من القيادات السياسية الواعية، فى كثير من الدول، أهمية اللُّغَة القومية، وأنَّ تعزيزها هو مسألة كرامة للأمة؛ أى إنه واجب قومىّ. فعزَّزت دُوَلٌ؛ مثل: "فيتنام"، و"فنلندا"، و"رومانيا" وغيرها، لغاتها الوطنية، وجعلت التعليم بها فى جميع مراحلِهِ.

ولذلك لا نستغربُ، عندما نجد القادة والمسئولين وقادة الفِكْر والرأى، يَحُثُّونَ شعوبهم دائمًا، على صفاء لغتهم وتنقيتها. فها هو ذا "هوشِيمِنًّا" (رئيس "فيتنام" السابق) يقول لشعبه: " حافظوا على صفاء لغتكم الفيتنامية، كما تحافظون على صفاء عيونكم " .

إنَّ لُغَتنا العربية لُغَة عبقرية، وقد تحدث عن عبقريتها كثير من العلماء العرب والمستشرقين، حتى إنَّ أحدهم قال: "ليس على وَجْه الأرض لُغَةٌ، لها من الروعة والعظمة، ما للُّغة العربية، ولكنْ ليس على وَجْه الأرض، أمةٌ تسعىٰ، بوعيٍ أو بلا وَعْيٍ، لتدمير لغتها، كالأمة العربية".

هذا، ولِلُّغة التى نستعملها فى حياتنا، وفى خطابنا اللُّغَويّ جانبانِ[٤]؛ أولهما: اللُّغَة المنطوقة Spoken Language، أو الكلام Speech ، هذه اللُّغَة تتمثل فى لغة الحديث اليوميّ؛ فى شتىٰ مناحى الحياة، كما فى الأحاديث والحوارات اليومية، وعمليات البيع والشراء والمعاملات، والندوات والمؤتمرات الثقافية والعِلْمية، وفى وسائل الإعلام المرئىّ، وفى التعليق على الرسائل العلمية، أو الأحكام القضائية، أو مباريات الكرة.

وهذه اللُّغَة المنطوقة، فى هذه الشئون الحياتية، وغيرها كثير، لها – بطبيعة الحال – جانبانِ أو وجهانِ أيضًا؛ هما: العامية المنطوقة، التى تسيطر على ساحة الأداء اللغوىّ العربىّ،

بحسب اللهجة المحلية الخاصة بالبلد أو القُطْر العربىّ؛ كما فى: العامية المصرية، والعامية الخليجية، والعامية اللبنانية، والعامية المغربية ... إلى آخِرِه. والفصحىٰ المنطوقة، التى يُفترض أن تكون لُغَة المواقف الرسمية الجادة، كالتدريس داخل قاعات الدَّرس، فى المدارس والمعاهد والجامعات، وتكون لُغَة الحوار فى المنتديات الأدبية، واللقاءات الفكرية والثقافية، ونشرات الأخبار المسموعة.

وأمَّا الجانب الآخر من جانِبَىِ اللُّغَة المستعملة، فهو اللُّغَة المكتوبة Written Language التى هى لُغَة التأليف العلمىّ والأدبىّ، وهى اللُّغَة التى يمتد أثرها عَبْر القرون؛ لأن الكلام يشغل وقتًا محددًا، ثم ينتهى، فى حين أنَّ الكتابة مستمرة، يتداولها الناس بالقراءة، جيلاً بعد جيل، وخلفًا عن سلفٍ .

هذه اللُّغَة التى كُتِبَ بها تراثنا العربىّ، يحق لنا أنَّ نصفها بـ"لُغَة الرَّصَانة"؛ لأنها لغة خضعت بلاشك، للتنقيح والتعديل والإضافة، وهى تتمثل أيضًا فى: لغة البحوث والدراسات الأكاديمية، والتأليف العلمىّ، وفى لغة الصحف والمجلات. ولاجدال أنَّ هذه اللُّغَة المكتوبة تؤدى وظيفة تخزينية، تسمح بالاتصال عَبْر الزمان والمكان .

هذا، وتتميز اللُّغَة المنطوقة بملاحظة لغة الجسد Body Language، من ملامح الوجه، والإيماءات، والإشارات، وطريقة الجلوس والعناصر التعبيرية الأخرى، التى تصاحب الكلمات الصادرة من المتكلم، لدرجة أنَّ أحد علماء العربية القدماء، قال فى هذا: " رُبَّ إشارةٍ أَبْلَغُ من عبارة " .

وإذا كانت "اللُّغَة المكتوبة" تفتقد تلك الوسائل التعبيرية، الموجودة، فى اللُّغَة المنطوقة، فإنها تتميز وتنفرد بكثير من الخصائص؛ أبرزها: علامات الترقيم Punctuation ، التى لها دور دلالىّ مهم جدًّا فى القراءة السليمة؛ إذ تؤدى كل علامة ترقيمٍ دورًا فى إيصال المعنى المقصود إلى القارئ. وقد يؤدى الإخلال بها إلى خفاء المعنى وعدم وضوحه، فى كثير من الأحايين(٥).

والحقُّ أنَّ كِلْتا اللُّغتَيْنِ – المنطوقة والمكتوبة – فى حاجة إلى تنمية. وتحاول هذه الورقة البحثية طَرْح رؤية مستقبلية لتنمية لغتنا العربية، وبخاصة المكتوبة منها.

***

- **الرؤية المستقبلية لتنمية اللُّغَة :**

– تشمل هذه الرؤية المحاور الآتية:

- **التخلص من الأخطاء اللغوية؛ سواءٌ أكانت نحويةً أم صرفيةً أم إملائيةً، الشائعة فى اللُّغَة الإشارية المكتوبة: فى لافتات الشوارع، وإشارات المرور، وأسماء المؤسسات والهيئات، والمحال التجارية، وغيرها.**
- **تنقية لغة الإعلانات، واللافتات من الأخطاء اللُّغَوية، ومن الازدواجية اللغوية، وكتابتها بخط مناسب من أنواع الخطوط العربية .**
- **زيادة الثروة اللفظية للغة، بنحت بعض الألفاظ الجديدة، القادرة على مواكبة العصر، بشرط أنْ تكون مستساغة ومقبولة لغويًا، والبعد عن الألفاظ التى تحض على الطبقية والعنصرية والكراهية .**
- **استعمال تراكيب لُغَوية جديدة، تُثرى اللُّغَة وتنمِّيها وتجعلها لغة إبداعية.**
- **تأكيد سخافة العبارة السائدة على ألسنة العوام وغير المتخصصين فى العربية؛ وهى: "خطأ شائع مشهور خير من صواب مهجور". فالحق أنه لا هذا ولا ذاك، يُجْدِى نَفْعًا فى اللُّغَة؛ فلماذا نسكت على هذا الخطأ المشهور، الذى توارثَهُ الناس، واستعملوه، جيلاً بعد جيلٍ، بهذا الخطأ. ولماذا نَصِفُ خطأً ما بالشهرة. وفى الوقت نفسه، ولماذا نسكت على هَجْر صوابٍ، لُغَتنا فى حاجة إليه، من أجل زيادة ثروتها اللفظية، ولا سيَّما أنه صواب .**
- **تهذيب لغة التواصل الاجتماعىّ، وتنقيتها من الألفاظ السوقية المنحطة، ومن الألفاظ والتراكيب التى تحضّ على الكراهية ... إلى آخره.**

- **التخلص من الأخطاء اللُّغَوية: (النَّحْوية، والصَّرْفية، والإملائية) فى بعض التراكيب المكتوبة :**

يكثر فى اللُّغَة الإرشادية المكتوبة، وفى أسماء اللافتات، والمؤسسات والهيئات، والمحال التجارية، بعض الأخطاء اللغوية، على مستوى النَّحْو والصَّرْف والإملاء. من هذه الأخطاء؛ قولهم: "إعلان هام"؛ فهذا خطأ صوابه: "إعلان مُهِمّ"؛ لأنه من الفعل "أهمَّ"، لا من الفعل "همَّ"؛ لأن جَمْع كلمة (هام) : "هوام"، وهى الأحناش والحشرات الطائرة،مثل الناموس، وغيره. وقد جاء مؤنث الكلمة (هامة)، فى رُقْية الرسول – ﷺ– لِسِبْطَيْهِ: "الحسن والحسين": «أُعيذكما بكلمات الله التامة من كُلِّ شيطان وهامة، ومِنْ كُلّ عَيْن لامّة» ؛ فقد جاءت الكلمة فى سياق مجاور لكلمة "شيطان" ما يدل على النفور منها، والدعوة للابتعاد عنها؛ ومِنْ ثَمَّ فلا دلالة لها – هِىَ

ومُذَكّرها "هام" – على الأهمية، ولذلك فالأفصح استعمال لفظ "مُهِمّ" فى كل سياق، يتحدث عن الأهمية.

ومِنَ الأخطاء الصَّرْفية الشائعة، فى لافتات كثير من السيارات وسائر وسائل النقل الأخرىٰ – فى خَلْفِيّتها – تركيب: "**صَلِّى على النبىّ**" . والحق أن الخطأ هنا متمثل فى كتابة فعل الأمر "صَلِّى" بالياء؛ فالصواب أن يكتب مِنْ دونها؛ هكذا: "صَلِّ على النبىّ"؛ لأنَّ فعل الأمر المنتهى بحرف علة، يُبْنَى على حذفها؛ فيقال على الصواب: "اخشَ الله"، و"اعفُ عن المسىء"، و"صَلِّ على النبىّ" (٦).

أمَّا الأخطاء الإملائية، التى تعجّ بها اللُّغَة الإرشادية، ولافتات الشوارع، وتزخر. فيصدق فيها تعبير: "***حَدِّث بها ولا حَرَج عليك***"؛ إذ مِنَ النادر أنْ تجد عبارةً أو لافتةً، مراعيةً لهمزة القطع وهمزة الوصل. ومن اللافت للنظر أنَّ الهمزة تُكْتب مقطوعة (أ)، سواءٌ أكانت الكلمة بهمزة قَطْع أم بهمزة وصل. وبِنَاء على هذا، يمكننا القول: إنَّ المشكلة لا تتمثل فى الكلمات التى تبدأ بهمزة قَطْع، فهذا مراعىً فى كثير من هذه اللُّغَة الإرشادية المكتوبة. وإنما تتمثل المشكلة فى الكلمات المبدوءة بهمزة وصل، ولكنها كُتبت خطأً بهمزة قطع. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يُكْتب فى هذه اللُّغَة: إتجه يمينًا – إسحب الباب ... إلخ .

ومثلما نطالب بمعالجة الأخطاء اللُّغَوية، فى اللُّغَة الإرشادية المكتوبة، وفى لغة اللافتات، وأسماء المؤسسات والهيئات، الحكومية وغير الحكومية، نطالب فى الوقت نفسه، باختيار الخطّ الأنسب والأجمل، لكتابة هذه الأشياء.

لقد حَبَا الله لغتنا العربية بكثير من ألوان الخطوط العتيقة العريقة؛ كما فى: "خط النسخ"، و"خط الرِّقْعَة"، و"خط الثُّلُث"، و"الخط الفارسى"، و"الخط الأندلسىّ"، و"الخط الديوانىّ"، وغير هذا كثير .

وفى العصر الحديث، فى ظل انتشار الطباعة، وشيوع الكتابة على الحاسوب (الكمبيوتر)، كثرت الخطوط وتنوَّعت، على شاشة هذا الحاسوب. وأصبح الكاتب حائرًا، فى كثير من الأحايين، أمام كَمٍّ لا يُنْكر من الخطوط الجميلة، التى استُحْدِثت، بحسب حاجة العصر.

ومصداقًا للعبارة الخالدة "**لكل مَقَام مَقَال**"، يجب أنْ يختار كاتب اللافتة، أو العبارة الإرشادية، مثلاً، الخطّ المناسب لها، خَطًّا لا تخطئه العَيْن، من حيث الوضوح والجمال. وهنا عليه إذا استبعد خَطّ الرِّقْعَة، أو الخط الديوانيّ، أو الخط الفارسيّ، أو الخط الكوفيّ، هذه

الخطوط التي يجهلها كثيرٌ من العامة وأنصاف المتعلمينَ، وهنا عليه أنْ يبحث عن الخط الأنسب؛ جمالاً ووضوحًا، فيختار النسخ، لوضوحه، أو خَطًّا آخر، يمتاز بالجمال .

- **" استعمال تراكيب لغوية جديدة "**:

من الأساليب الجديدة والمبتكرة فى لُغَتنا العربية، التبادُل بين التراكيب الوصفية، بتقديم الموصوف على صفته، والنَّسَب إلى هذه الصفة، أو العكس، كما فى قَوْلهم ": الفِكْر الابداعى والابداع الفكرى، والظلم الطاغى والطغيان الظالم. وهنا وردت الصفة المنتهية بياء النسب، ثم قُدِّمت على الموصوف، بعد تَجَرُّدِهَا من هذه الياء، لنحصل على تركيبَيْنِ متوازيَيْنِ متجانسَيْنِ، كما رأينا.

ومن الأساليب اللُّغَوية الجديدة المبتكرة كذلك: التبادُل بين التراكيب الإضافية؛ بجعل المضاف إليه – بعد تجريده من أداة التعريف – مضافًا إلى ما كان مضافًا فى التركيب الأول. ومن هنا نحصل على تركيبَيْنِ إضافيَيْنِ من مادة لغوية واحدة متجانسة، كما فى قولهم: "*فسار دولة*"، و"*دولة فسار*". و"*إدارة أزمة*"، و"*أزمة إدارة*".

وهكذا لا تنضب لغتنا العربية أبدًا، بإبداعاتها وطاقاتها المتجددة، فى التراكيب والأساليب البديعة، غير التقليدية، كما فى إضافة الصفة إلى موصوفها أيضًا؛ إذ يمكنك القول: لبست جديدَ الثياب، بدلاً من قولك: لبست الثياب الجديدة، وكذلك قولك: عميق الأثر، وشديد الأسف، وسنذيع الأخبار كاملة التفاصيل، أو بتفاصيل كاملة، ونشكر فلان على تواضعه السامى، وسُمُوّه المتواضع، واللهمَّ تقبل منا صالح الأعمال، والأعمال الصالحة، وفسيح جناته، وجناته الفسيحة، وغير هذا كثيرٌ كثيرٌ .

إن الأمر يحتاج بحق إلى غوَّاصٍ ماهر، يُنقِّب عن هذه الأساليب والتراكيب ويبرزها بالاستعمال اللغوىّ، حتى تشيع، ومن ثَمَّ تُثْرى لغتنا الحبيبة. وفى هذا السياق، صدق "حافظ إبراهيم" حين قال، على لسانها:

أَنا البَحْرُ فِى أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ ∴ فَهَلْ سَاءَلُوا الغَوَّاصَ عن صَدَفَاتِى(٧)

***

- **لغة الإعلام والإعلان**:

من المقرَّر المعروف، فى الأوساط الإعلامية والثقافية، أنَّ للإعلام، وبخاصة المقروء منه، أى "الصِّحَافة"، لغةً خاصة، يطلقون عليها: "***اللُّغَة الثالثة***"، أى إنها لغة تتوسط بين الفصحى والعامية، فهى لغة فصيحة فى كثير من مفرداتها وتراكيبها وأساليبها، غير أنها مُطَعَّمة، فى الوقت نفسه، بألفاظ غير فصيحة، سواءٌ أكانت عاميةً، أم دخيلةً، أم مستحدثةً من مستحدثات هذا العصر.

ولكنَّ الأمر اللافت للنَّظَر حقًّا، فى هذا العصر، هو تفشِّى الخَلْط بين نَسَق الفصحىٰ والعامية فى الإعلام، والتعليم، وغيرهما، وظهور لغة هجينة، لم نكد نراها فى العقود الماضية، فى كتابات كبار الفِكْر والثقافة والإعلام، فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن العشرينَ. وامتدّ الأمر إلى نشرات الأخبار، المسموعة والمرئية. وهذا بلا شك مظهرٌ من مظاهر أزمة اللُّغَة العربية، فى هذا العصر. ليس هذا فَحَسْب، بل إنَّ كثيرًا من الصُّحُف العربية تنشر إعلاناتٍ مكتوبةً باللهجة المحلية، أو بحروفٍ عربيةٍ لألفاظٍ أجنبيةٍ، أو بمزيج من هذا وذاك .

- **" الازدواجية اللُّغَوية فى لُغَة الإعلانات** :

صحيح أنَّ اللُّغَة العربية شهدت تطوُّرًا كبيرًا، على مستوىٰ الاستعمال والتداوُل والانتشار الواسع، فى كثير من مناحِى الحياة العامة، فى التعليم والسياسة والإعلام، وغير ذلك، ولكنَّ المتتبع للشأن اللُّغَوىّ، يُلاحظ ما يشبه "***الفوضىٰ اللُّغَوية***"، التى تبرز فى الازدواجية اللُّغَوية، حيث انتشار العاميات، وطغيانها على اللُّغَة الفصيحة، فى التعليم والإعلام والثقافة[٨].

ومن اللافت للنظر، فى الإعلانات المنشورة فى الصُّحُف والمجلات، اتجاهها المتنامِى، نحو كُلِّ ما هو أجنبىّ من المفردات والتراكيب، المخالفة للقواعد النحوية والصرفية للغة العربية، وغير المقبولة وغير المستساغة من الذوق العربىّ .

ومن أمثلة ذلك: إطلاق كثير من التُّجَّار، الكبار والصغار، اسم " سوبر ماركت **Super Market** " بدلاً من اسم البقَّال أو البدَّال. ومثلها: " سوبر سرفيس **Super Service** " خدمة عظيمة" . أليس من العبث أنْ نكتب لغتنا الإرشادية بحروف عربية، مع أن أصل المفردة أو التركيب أجنبىّ عن لغتنا. وكأننا نُسْهم بهذا فى شيوع هذه اللُّغَة الأجنبية على ألسنة الناس.

وإذا كانت الازدواجية أو الثنائية فى التعبير، ظاهرةً لغويةً عامةً، فى كثير من اللغات؛ لأن كُلَّ لغة فصحىٰ تقف معها، وتسير، جنبًا إلى جَنب، لغةٌ متولدةٌ، هى "العامية" أو "الدارجة" – فإننا لم ولن نفقدَ الأمل، فى أنْ يأتىَ اليوم، الذى نستبدل فيه المفردات الفصيحة بهذه المفردات العامية. ولعل من المناسب فى هذا المَقَام، أنْ نذكر نماذج من هذه "اللُّغَة الإعلانية": "بُصْ .. شوف كوكاكولا بتعمل أيه" – "بس .. الزَّكّ على الأصل" – "مفيش أجمل من كدة"[٩] .

ومن المقولات الخاطئة، التى يُرَوِّج لها بعض الباحثين، فى هذا المَقَام، عدمُ قدرة العربية على التعبير عن مضامين الحداثة، وروح العصر، بدعوىٰ أنها لغة غير علمية، لا تستطيعُ أنْ تكون لُغَة العِلْم والتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد.

وهذه دعوىٰ باطلة؛ لأن اللُّغَة العربية لُغَة عبقرية، ثَرَّة ثَرِيَّة، لا تُدَانيها لُغَة أخرىٰ، فى مرونتها واشتقاقها؛ وهذه العبقرية فى المرونة والاشتقاق، اللذَيْنِ ينبعانِ من ذات اللُّغَة، جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة، بما فيها من علون وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وَضْع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة[١٠]. ورَحِمَ الله شاعرنا المصرىّ الكبير "حافظ إبراهيم"[١١]، إذ يقول فى هذا، على لسان "اللُّغَة العربية":

– وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ اليومَ لفظًا وغايةً ∴ وَمَـــا ضِقْتُ عن آىٍ بِهِ وَعِظَاتِ

– فكيفَ أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَـــةٍ ∴ وتنسيقِ أَسماءٍ لمخترعاتِ ؟

***

- **لغة رُوَّاد مواقع التواصلُ الاجتماعىّ** :

إنَّ المتأمل لِمَا يكتبه رُوَّاد مواقع التواصل الاجتماعىّ، وما يُعَلِّقون عليه من أخبارٍ وصُوَرٍ، تبثها وسائل الإعلام، على اختلافها – يلفت نظرَهُ، قسوةُ الألفاظ المستخدمة في تعليق كثير من هؤلاء.

ولا أقصد بالقسوة هنا، صعوبة الألفاظ، ولا غرابتها، ولا غموضها، بل أقصد بها الفجاجة، والنزول بها إلى مستوى الحضيض، والدَّرْك الأسفل من الاستعمال اللُّغَوىّ، إذ لم يعدْ هناك حياءٌ ولا خجلٌ من التعبير الصريح بهذه الألفاظ، وكتابتها على مواقع التواصل الاجتماعىّ، بمختلف أشكالها: (**الفيسبوك– التويتر –إنستجرام – ... إلى آخِرِه**) هذه الألفاظ التي يستحى المرء في حياتنا المعاصرة، من التلفظ بها أمام أصحابِهِ وأسرتِهِ.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة هنا، هو: أَلاَ يدرك هؤلاء المتواصلونَ اجتماعيًّا أنَّ هناك أناسًا كُثُرًا من الأبرياء المهذبينَ، نساءً ورجالًا وصبيانًا، سيقرءونَ هذه التعليقات؟.

وإذا كان مَنْ يُحَلِّل سياق ما يُكتب، في ضَوْء الخَبر والحدث أو الصورة، قد يلتمس العذر للمعلِّق المتجاوِز؛ لأنه شاعرٌ بالكبت والظلم، وبفقدان تأثير صوته في الآخرينَ – فإنَّ هذا لا ينبغي أن يكون عذرًا لهذا التجاوز اللفظيّ، الذي يكسر خجل الأسرة، ويؤدي إلى تدهور أخلاقىّ، يصيب أركان المجتمع(١٢).

لاشكّ أنَّ اللُّغَة إذا صَحَّت، صحّ الفكر وانتظم، وعندما تكون اللُّغَة العربية بهذا الشكل وهذه الصورة، التى يكتبها أبناؤها، على الشبكة العالمية، فلا تنتظر من هؤلاء الأبناء أنْ يكونوا منظمينَ، منضبطينَ فى طريقة تفكيرهم، إلا مَنْ رَحِمَ ربى؛ لأن الفوضىٰ التى نراها فى المجتمع العربىّ، هذه الأيام، تنعكس بلا جدال ولا محاجّة، على فِكْر القائمين على اللُّغَة. ومِنْ ثَمَّ أصبحت ثَمَّة فوضىٰ فى الثقافة والإعلام، والاستعمال اللُّغَوىّ.

إنَّ لُغَة الشبكة العنكبوتية، التى يتداولها رُوَّاد مواقع التواصل الاجتماعىّ، تختلف اختلافًا كبيرًا وجذريًّا، عن اللُّغَة العربية الفصيحة. إنها لغة تشيع فيها الأخطاء اللغوية: النحوية والصرفية والإملائية، والأسلوبية، وتلجأ إلى العامية فى كثير من وسائلها، وتبتدع مصطلحات جديدة، وتستعمل كلمات دخيلة، وتنحت ألفاظًا غير مألوفة.

ولا نبالغ إذا قلنا: لقد أصبح لروَّاد مواقع التواصل الاجتماعىّ "لغة خاصة" بهم؛ والحقَّ أنَّ مِنَ العبث، إطلاق مصطلح "لغة"، على هذا العبث اللفظىّ، الذى يُسَمَّىٰ: "الفرانكو"؛ فهى مجرد طريقة كتابية، تفتقر إلى مقوِّمات اللُّغَة، وتُخْلط فيها الأرقام بالحروف اللاتينية، لتكوِّن كلمات، قد يفهمها بعض مستعمليها، وقد تمثِّل شفراتٍ لمن لا يعرفها.

ولأننا فى عصر السرعة، فقد شاعت طريقة "الفرانكو" السهلة السريعة، إذ يمكن التعبير عن كلامٍ كثيرٍ، بجملة، أو بحرف واحد فى اللُّغَة الإنجليزية. من ذلك قولهم؛ بالإنجليزية: " Nic 2 C U" بدلاً من: Nice to see you "سرَّتنى رؤيتك". أمَّا الأمثلة على كتابات العرب، من رُوَّاد مواقع الاجتماعى؛ فمثل: Fr7t Lma L2tk Fr7an " فرحت لمَّا لقيتك فرحان" . ويُلاحظ أنَّ رُوَّاد هذه المواقع، يستعيضون عن حرف الحاء برَقْم (7)، وعن حرف القاف برَقْم (2). ويستعيضون عن حرف العَيْن برَقْم (3) ؛ كما فى قولهم: 3ed sa3ed "عيد سعيد".

من أجل هذا، يشكو كثيرٌ من الغُيُر ـ جَمْع "غَيُور" ـ على لغتهم العربية الحبيبة، من تدهور الاستعمال اللغويّ، على مواقع التواصل الاجتماعيّ. **من أجل ذلك نهيب جميعًا** ، نحن أبناء العربية، بِحَثِّ الشباب، وتشجيعهم على استعمال الحروف العربية، فى كتابة الرسائل والتغريدات، والحرص على الأسلوب العربىّ الصحيح، الذى لا يبتعد كثيرًا عن قواعد العربية المطردة، عوضًا من لسانهم الذى يتحدث بالانجليزىّ المعرَّب، أو بالعامية الفجَّة. نريد منهم أسلوبًا يرقىٰ باللُّغَة وينمِّيها، ولا يقوِّضها، بالهبوط بها إلى السوقية!.

إنَّ من المقرر المعلوم، أنَّ من خصائص اللُّغَة العربية، جُنُوحها إلى الاقتصاد أو الاختصار أو الإيجاز، أكثر من مَيْلها إلى الإطناب والتطويل(١٣). وفى هذا مبدأ مهمّ، يقول – بلسان الحال – : "***البلاغة فَنّ الإيجاز***". ومن قدرات العربية الاقتصاد أو الاختصار؛ إمكان إضمار بعض الأفعال، فى بعض التراكيب، كما فى تركيب: "أهلاً وسهلاً"؛ إذ يَعْنى: قصدتَ ونزلتَ أهلاً، وحَلَلْتَ سهلاً. ومن هذا أيضًا حَذْف بعض الجُمَل؛ اعتمادًا على أنها مفهومة من سياق الكلام؛ كما فى قوله جَلَّ ثناؤه؛ حكايةً عن سيدنا "موسىٰ"، عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [سورة "القَصَص" ٢٨/ الآية٢٣] أى: يَسْقُون ماشيتهما، وتردَّان ماشيتهما. ولولا ضِيق المَقَام لَسُقت أمثلة كثيرة، من باب "الحذف"، الذى يُسَمِّيه علماء العربية القدماء: "باب شجاعة العربية"(١٤).

- **" اللُّغَة الصامتة "** :

إنَّ المتأملَ لِمَا هو مكتوبٌ على حوائط المؤسسات ومبانيها، على اتساع مصر، شَمَالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، يلفت نظرَهُ، ويَسْتَرعى انتباهه، هذا الكمُّ الهائل من البذاءات المكتوبة، سبًّا وقدفًا وشتمًا، في بعض أركان الدولة المصرية، ومؤسسات المجتمع.

صحيح أنها لغةٌ مكتوبةٌ غيرُ منطوقة، ولكنها مرئية للرائح والغادي، للسائر والمتوقف، يقرؤها ثم يهضمها، ويهضم مضمونها في نفسه، ومِنْ ثَمَّ فقد مرَّت على عقله، تمامًا مثلما تمرُّ اللُّغَة المنطوقة، التي يتلقَّاها.

هذه اللُّغَة يصحّ أن نُطْلق عليها: "هتّاف الصامتين"؛ لأنها تُمثّل لغة مجموعة من الأشقياء، الذين لا يستطيعون المواجهة اللفظية، فيلجئون إلى هذا الهُتَاف الصامت، بكتابة ما يريدون على حوائط مباني المؤسسات، الحكومية وغير الحكومية، ما يؤدي إلى تشويهِ هذه المباني، وتمزيق أواصر المجتمع، وعدم قَفْزته تنمويًّا؛ لأنَّ هناك مَنْ قد يتفاعل مع هذه اللُّغَة المكتوبة ويتعاطف. وإذا هَمَّتْ مؤسسات الدولة لمسح المكتوب، سارع هؤلاء الأشقياء لهذه الكتابة من جديد، بلغة منحطَّة، تهدمُ المجتمعَ ولا تَبْنِيه، تُقَوِّضُهُ ولا تُنَمِّيهِ. فهل هذا معقول؟!.

***

- **الأثر (الإيجابىّ – السلبىّ) للُّغة فى تنمية المجتمع** :

إنه لا يكادُ اثنانِ من الخاصَّة أو العامَّة يختلفانِ، في أنَّ حال لغتنا العربية، في أيامنا هذه، حالٌ غير مُرْضِية، وغير لائقة، لا بها، ولا بنا . وما دام أفراد المجتمع الناطقونَ بالعربية، ينطقون أصواتًا ، يكوِّنون منها كلماتٍ أو ألفاظًا، ثم يكونوِّن من هذه الألفاظ جُمَلاً يتحاورونَ بها، ويتفاهمونَ، فى شتىٰ شئون حياتهم المعاصرة – فإنَّ هذه اللُّغَة، سواءٌ أكانت كلماتٍ مفردةً أم جُمَلاً، لها أثر إيجابيّ، كما أن لها آثارًا سلبية، في تنمية المجتمع المعيش فيه، ثقافيًّا واجتماعيًّا .

ويكفي لكي تدرك الأثر الإيجابيّ للغة في تنمية المجتمع، أن تنظر في الألفاظ والتراكيب التي يستعملها كُلُّ الناطقين بالعربية، صباحَ مساءَ. إنها ألفاظٌ وتراكيبُ مسكوكةٌ، يصحُّ أن نطلق عليها: "الأكليشيهات"؛ مثل: "السلام عليكم"، و"صباح الخَيْر"، و"مساء الخَيْر"، و"أهلاً وسهلاً"، و"كُلّ عام أنتم بخير"، و"مبروك"، و"شكرًا"، و"زمزم"، و"حرمًا"، و"سلامتك" ، و"البقاء لله"، و"مع السلامة"، وغير ذلك كثيرٌ كثيرٌ[١٥] .

لاشكَّ في أنَّ استعمال أفراد المجتمع لهذه الألفاظ والتراكيب المسكوكة، يقرِّب الأفراد بعضهم من بعض اجتماعيًّا، ومِنْ ثَمَّ تختفي الهُوَّة الاجتماعية بينهم، وقد تتلاشى بعض الوقت، الأمر الذي يُسَهِّلُ التواصلَ الاجتماعيّ بين أفراد هذا المجتمع.

والإنسان عندما يستيقظ من فراشه، وحتى يأوى إلى فراشه، يستعمل اللُّغَة بشكل أساسىّ، بوصفها أداةَ تواصُلٍ وتفاهمٍ، وليس في هذه العبارات التي تأخذ طابع "الأكليشيهات" أىُّ فِكْر تريد نَقْله، ولكنها مهمة في التواصل الاجتماعيّ. وفى الوقت نفسه، لو استُعْملت في غير مَقَامها، لتمزَّقت اللُّغَة، والروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع. كأنْ يذهب رَجُل لتعزية صديقٍ له في وفاة

عزيزٍ لَدَيْه، وعندما يريد الانصراف يقول له: "فرصة سعيدة"، بدلاً من "البقاء لله"، أو "البقية في حياتك" .. انظر إلى الأثر الذي تُحْدِثه هذه العبارة في نَفْس هذا الصديق المصابة .

أمَّا الأثر السلبيّ لِلّغة على المجتمع وتنميته ثقافيًّا واجتماعيًّا، فكبير وخطير، تعجّ به حياتنا المعيشة وتزخر. ولهذه الأثر – مع الأسف – صورٌ متعدة وأشكال مختلفة؛ من أبرزها:

- *استعمال ألفاظ سوقية منحطّة دلاليًّا*، ذات إيحاءات جنسية ممجوجة .
- *استعمال ألفاظ مبتذلة* في غير مكانها ولا مَقَامِها .
- *استعمال ألفاظ أجنبية* وحَشْو الأسلوب العربيّ بها ، رغبةً في إظهار الثَّقافة والتحضُّر .
- *استعمال ألفاظ عاميَّة* في غير مَقَامها ، وقد لا يفهمها كُلّ العامة .
- *استعمال ألفاظ تحضُّ على زيادة الهُوَّة بين أفراد المجتمع*، وتعمّق الطبقية بينهم (فلان بيه – فلان باشا ... إلخ).
- *استعمال ألفاظ مفهومة لأشخاص مجهولين* [يا كابتن – يا باشمهندس ..] إلى آخر ذلك من أنماط الاستعمالات اللُّغوية، التي تُؤَثِّر سلبًا على المجتمع، وتُعيق نُمُوّه ثقافيًّا واجتماعيًّا.

ولضيق المقام سنكتفي هنا ببعض هذه النماذج .

***

- " **يا عَمّ** " :

ما أحلاها من كلمة، حين تُقَال في مَقَام وسياق، وما أقبحها، عندما تُقَال في مَقَام وسياق آخَر. فكلمة "عَمّي" يقولها الشاب المؤدب لعمّه، وقد يقولها الطفل البريء؛ هَكذا: "عَمُّو" بنوع من التحبُّب والتلطُّف والتمليح والتدليل، لنظير أبيه.

ولكنَّ الكلمة نفسها تشيع الآن شيوعًا غريبًا، على ألسنة الشباب، مثقفين وغير مثقفين. إنك إذا تابعتَ لغة الحوار اليومية، في الخطاب اللُّغويّ المعاصر، فإنك ستسمع هذه الكلمة "**يا عم**"، مرةً واحدةً على الأقل يوميًّا. لقد صارت هذه الكلمة ممجوجة، خاصةً حين يقولها طالب لأحد أساتذته، أو شاب لأحد كبار أقاربه، أو أخ لأخيه الأكبر، أو مرءوس لرئيسه ...إلخ.

ولاشك أنَّ التقليد الأعمى لهؤلاء الشباب، لِمَا هو مسموعٌ ومرئيٌّ، في وسائل الإعلام، ولاسيما تلك الأعمال الدرامية الهابطة، وراء هذه الآفة، وتلك السَّقْطة اللُّغوية، التي قد تجعل بعضنا يكره هذه الكلمة، ويتمنَّى سقوطها من القاموس اللغوين لهؤلاء الصِّبْيَة، وأولئك الشباب[١٦].

- " فلان بيه "، و " فلان باشا ":

في أيام الحُكْم المَلَكِيّ لمصر، أيام المَلِك "فؤاد" وابنه الملك "فاروق"، وقبل قيام ثورة يوليو (١٩٥٢م) وتحوُّل "مِصْر" من ذلك الحُكْم المَلَكِيّ، إلى هذا النظام الجمهوريّ، كان أولئك الملوك المنحدرونَ من سلالة "محمد عليّ باشا" يُنْعِمُونَ بلقب "البيه" على بعض الناس، وبخاصة موظفو الدولة آنذاك، وبلقب أعلى هو "الباشا" على بعض الإقطاعيين، والأثرياء ثراءً فاحشًا .!

وكان الشخص المُلَقَّب بأحد هَذَيْن اللقبين، يشعر بزهوٍ وفخرٍ شديدينِ، عندما يُخْتم اسمه بأحدهما، فيقال له: "فلان بيه"، و "فلان باشا". وقد كان المأمول اختفاءَ هذه الألقاب من الحياة العامة، بعد ثورة يوليو١٩٥٢م، لانقطاع مانِحِيها. ولكن مع الأسف، ظلت هذه الألقاب بلا انقطاع، بل استشرَتْ، وكثرت وزادت، في العقود الأخيرة من القرن الماضي (العشرين)، وحتى وقتنا هذا .

ولكن مِنَ اللافت للنظر أنَّ لَقَبَيْ "البيه" و"الباشا" أصبحَا مقصورَيْنِ على وكلاء النيابة، والقضاة، وضباط الشرطة، وبعض رجال الأعمال، والمسئولين الكبار. وصار الناس ينادونَ وكيل النيابة، مثلاً بـ "فلان بيه"، ويطلقون لقب "الباشا" على ضابط الشرطة، على الرغم من عُلُوِّ مكانة الأوَّل الأدبية والتنفيذية .!

وفي الوقت نفسه أسهم الإعلام، وبخاصة المرئيُّ منه، في الدراما المُسَلْسلة، وبرامج "التوك شو" في إذكاء هذه الألقاب، حتى أصبحت مقررًا محفوظًا، عند أولئك المنافقينَ. وكأنَّ هذا المسئول المنافَق (بفتح الفاء) يستقبح ويستقلّ كلمة "أستاذ"؛ لأنها قد تُطلق على صغار الموظفين، ومِنْ ثم انحطَّت دلالتها، من وِجْهة نَظَرِهم(١٧).

***

وصفوة القول في هذه البحث: إنَّ لُغَة المجتمع يجب أنْ تكونَ سامية سُمُوَّ أخلاق أفراده؛ لأنَّ رُقِيّ المجتمع يُقاس في اعتقادىّ بأخلاق أفراده، وسُمُوّ لغتهم ورُقِيِّها، وعدم انحطاطها. ولن تتحقق تنمية المجتمع، على المستويات كافةً، خاصةً الثقافية والاجتماعية، إلا بلغة أفراده، باستعمالهم لغةً مُهَذَّبةً محببةً إلى الآخرينَ، لُغَةً تسمو به وتحلِّق، في آفاق التحضر والرقىّ والتميز.

أمَّا تَرْك بعض أفراد المجتمع يتكلمون لغةً سوقيةً منحطَّةً، ينحتونها من قاموسهم الشخصىّ، فأمرٌ يجب على المجتمع التَنَبُّهُ إليه، ولَفْظ هذه اللُّغَة المتدنية، وطرْدِها من لغة الشارع، حتى تظل مقصورةً محبوسةً على ناطقيها، وإلا حدث ما لا يُحْمد عقباه، من سيادة هذه اللُّغَة المنحطَّةِ في لغة الشارعِ المصري، الأمر الذي يؤدى إلى نشء جيل ذى قاموس منحطّ لغويًا، ذى أخلاق متدنّيةٍ، ما يؤدى فى النهاية إلى تقويض هيبة المجتمع، وتمزيق الروابط الاجتماعية بين أفراده، ومِنْ ثَمَّ عدم قيام أية تنمية حقيقية منشودة لهذا المجتمع.

***

- **وأخيرًا يوصى هذا البحث**، بضرورة إنشاء هيئة للرقابة اللغوية، تكون منوطةً بمراقبة اللافتات والإعلانات، فى كل إقليم عربىّ، وعدم إعطاء الترخيص لأية منشأة، إلا بعد التزامها بالضوابط اللغوية، وبالصواب اللغوىّ، الذى تحدِّدُهُ وتقرُّهُ هذه الهيئة اللغوية.

إنَّ الأمر الذى لا شكّ فيه، أنَّ التنمية اللغوية تبدأ بتفعيل كُلّ القرارات الهادفة إلى تمكين اللُّغَة فى شتىٰ مناحى الحياة العامة، ومِنْ ثَمَّ القضاء على الفوضىٰ اللغوية المنتشرة الآن، فى معظم ربوع المجتمع. ولهذا يجب العمل على جَعْل لغتنا لغةً فاعلة، فى جميع القطاعات، لغة منفعلة ومتفاعلة مع كُلّ التغيُّرات؛ من أجل تحقيق نُمُوّ لغوىّ، تُبْنَىٰ عليه وتتأسس كُلّ الأشكال التنموية الأخرى؛ البشرية والاجتماعية والاقتصادية، انطلاقًا من أن التنمية اللُّغوية هي باب كُلّ تنمية شاملة، ومن دون هذه التنمية اللُّغوية لا تتحقق التنمية الشاملة.

***

هوامش البحث

١- " فى عِلْم اللُّغَة العام"، للدكتور عبدالعزيز أحمد علاّم، ص٥٦، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢- تنمية اللُّغَة ولغة التنمية، للدكتور عبدالرحمان يجيوى، ص٢، المركز العربىّ للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قَطَر، ٢٠١١م.

٣- مقدمة ابن خلدون، واللُّغَة والهُوِيَّة، تأليف: جون جوزيف، ترجمة: الدكتور عبدالنور خرافى، ص٧ (مقدمة المترجم) مجلة عالَم المعرفة، العدد (٣٤٢) أغسطس ٢٠٠٧م.

٤- فَنّ الكتابة الصحيحة، للدكتور محمود سليمان ياقوت، ص١٠-١٢، طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٥- فَنّ الكتابة الصحيحة، للدكتور محمود سليمان ياقوت، ص١٢ (المرجع السابق).

٦- يُنظر فى هذا: كتابى "التدريب اللغوىّ" تأصيل وتصحيح وتحليل"، ففيه ما يربو على سبعين خطأ لغويًّا شائعًا، نحويًّا وصرفيًّا وإملائيًّا، عالجتها كُلّها فى جداول؛ بذكر الخطأ، والصواب، وسبب الخطأ ونوعه.

٧- ديوان حافظ إبراهيم، ص١٢٧ (من قصيدة: اللُّغَة العربية تَنْعَىٰ حظَّها بين أهلها"، جَمَعَ الديوان وحقّقه: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبيارىّ. واعتنى به وراجعه: الشربينى شريدة، الطبعة الأولىٰ، دار اليقين، للنشر والتوزيع، المنصورة – مِصْر، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٨- تنمية اللُّغَة ولغة التنمية، للدكتور عبدالرحمان يجيوى، ص٤,٣ (مرجع سابق).

٩- فَنّ الكتابة الصحيحة، للدكتور محمود سليمان ياقوت، ص٤٩٢-٥٠١ (مرجع سابق).

١٠- اللُّغَة العربية والصحوة العلمية الحديثة، للدكتور كارم السيد غنيم، ص٤٢، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.

١١- ديوان حافظ إبراهيم، ص١٢٧ (من قصيدة: اللُّغَة العربية تَنْعَىٰ حظَّها بين أهلها".

١٢- اللافت للنظر فى الواقع المصرىّ المعيش "سلسلة مقالات"، للدكتور إبراهيم عوض إبراهيم حسين .

١٣- اللُّغَة العربية والصحوة العلمية الحديثة، للدكتور كارم السيد غنيم، ص٤٧ (مرجع سابق).

١٤- الخصائص، لابن جِنِّى ٢/٣٦٢-٤٤٣، تحقيق: محمد علىّ النَّجَّار، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٥- أسس عِلْم اللُّغَة، للدكتور محمد يوسف خَبْلص، دار الثقافة العربية، القاهرة، بلا تاريخ.

١٦- اللافت للنظر فى الواقع المصرىّ المعيش "سلسلة مقالات"، للدكتور إبراهيم عوض إبراهيم حسين (مرجع سابق).

١٧- اللافت للنظر فى الواقع المصرىّ المعيش "سلسلة مقالات"، للدكتور إبراهيم عوض إبراهيم حسين (السابق نفسه).